الدرس السابع والثلاثون: هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة إلى الطائف، ماشيًا على قدميه جيئة وذهابا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، فلما انتهى إلى الطائف توجه إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة - أي يمزقها - إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم:**"إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني -**، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطَيْن - أي صفين - وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالتْ: قُلتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:**"لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا**

بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً - [1] (26).

أخي الحبيب، هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رفض ان ينتقم من قومه، فلقد جبله الله عز وجل على كريم الخلال، فكان قبل النبوة أرقى قومه، بل أرقى البشرية في زكاء نفسه، وسلامة فطرته، وحسن خلقه، نشأ يتيماً شريفاً، وشب فقيراً عفيفاً، ثم تزوج محباً لزوجته مخلصاً لها.

لم يتولَّ هو ولا والده شيئاً من أعمال قريش في دينها ولا دنياها، ولا كان يعبد عبادتهم، ولا يحضر سمرهم، ولا ندواتهم، ولم يؤثر عنه قول ولا عمل يدل على حب الرياسة، أو التطلع إليها.

كان يُعرفُ بالتزام الصدق، والأمانة، وعلو الآداب؛ فبذلك كان له المقام الأرفع قبل النبوة؛ حتى لقبوه بالأمين، حتى أتاه الوحي من رب العالمين

بل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب: فهذا من أعظم المهيئات والدلائل على صدق نبوته.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق أخلاقا، وقد خاطبه ربه تبارك وتعالى بقوله له:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4]، ولقد أدبه ربه، فأحسن تأديبه، فكان خلقه القرآن الكريم، يتأدبُ به، ويؤدب الناس به، وكان لا يرد إلا طيِّبا ولا يضحك إلا مبتسما، وكان كلامه يفهمه كل من سمعه، وكان لا يرد الطِيب – أي العطر- ولا اللبن ولا الوسادة. وكان كثير شعر اللحية فقد كان يطلق لحيته ويحف شاربه، وكانت وسادته التي ينام عليها من أدم - أي جلد - حشوها ليف. وكان في حاجة

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 3059 و(م)1795.

أهله يقم المنزل ويخيط ثوبه ويخصف نعله، وكان يبيت الليالي المتتالية طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير، وكان لا يسأله أَحَدٌ إلا أعطاه فقد كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان.

وكان أبغض الخلق إليه الكذب، وكان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة، وكان لا يغضب لنفسه ولكن يغضب إذا انتهكت محارم الله ♣.

وكان يجيب دعوة أي أحد، ويقبل الهدية ولو قَلَّت، ويكافئ عليها.

وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعا، وكان يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس، ويركب ما أمكنه، مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة حماراً، أو يمشي راجلاً حافياً.

وكان يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، وكان لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، وكان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف في البر لهم، ويصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وما كان يأتيه أحد إلا قام معه في حاجته، ولم يكن فظَّاً، ولا غليظاً، ولا صخاباً في الأسواق، وما كان يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قادمه لحاجة صابره حتى يكون القادم هو المنصرف.

وكان لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك من غير قهقهة، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه؛ لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يجلسه عليه، وكان يعطي من جلس إليه نصيبه من وجهه، وسمعه، وحديثه، ولطيف محاسنه، وتوجيهه، وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وكان أرأف الناس

بالناس، وكان يحب اليسر، ويكره العسر، ولا يشافه أحداً بما يكره، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، وكان يتفاءل ولا يتشاءم ويحب الاسم الحسن، وكان إذا أتاه الأمر يَسُرُّهُ قال: **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**، وإذا أتاه أمر يكره قال: **الحمد لله على كل حال**، وكان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله.

وكان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: **السلام عليكم، السلام عليكم**.

وكان إذا قرب طعام قال: **بسم الله** فإذا فرغ قال: **أطعمت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت**، وإذا شرب يشرب على ثلاث مرات وكان لا يشرب من فم السقاء وكان لا يتنفس في الإناء.

وكان إذا دخل الخلاء قال: **اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث** وإذا خرج قال: **غفرانك**.

وكان إذا إفتتح الصلاة قال: **سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**.

وكان لايدع صيام أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر في سفر ولا حضر، وكان يكثر من صيام يومي الاثنين والخميس، وكان إذا أفطر قال: **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**.

وكان يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان ما لايجتهد في غيرها، وكان إذا أفطر عند قوم قال: **أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وتنزلت عليكم الملائكة**. وكان يقول قبل موته بخمسة أيام: **وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**، وكانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغرغر بنفسه: **الصلاة وما ملكت أيمانكم**، أي يقصد الوصية بالصلاة والنساء.

فهلا عملنا بهذا الهدي النبوي المبارك وعلمناه أولادنا حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا ويجمعنا بهم في مستقر رحمته، قال تعالى :{وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} [الطور : 21].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثامن والثلاثون: الاستئذان الشرعي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب ☺ عندما سأل أبَا موسى الأشعرى رضي الله عنها أن يأتي بالبينة، لرجوعه عندما استأذن على عمر ☺ ثلاث مرات ولم يأذن له، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ ☺ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ☺ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولاً فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَغَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ؟ ائْذَنُوا لَهُ. قِيلَ: قَدْ رَجَعَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ الأَنْصَارِ فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: لاَ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلاَّ أَصْغَرُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ [1].

وأخرج البخاري أيضا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ☺ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم **"إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ** - فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 1956.